AL MOUROOTH
الموروث

مجلة فصلية محكمة
تعنى بالتراث الثقافي
تصدر عن معهد الشارقة للتراث
العدد - 9 - مارس 2018
A REFEREED QUARTERLY JOURNAL
CONTROVERSIES IN THE FOLKLORE BY
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE
Issue - 9 - Mar. 2018
السنة الثالثة - Third Year

- ◆ العجائبية فيه ألف ليلة وليلة
- ◆ الحكاية البيضاء والحكاية السوداء
- ◆ إيقون المتن الشعري النسائي المغيب
- ◆ فخار سجنان من المحلي إله العالمية

الدراسات

13 تمثيلات (تعليق النص) وجمالياته
في كتاب (ألف ليلة وليلة)
علي حداد

33 إرّون غناء لأبي زفاف
نحو متن شعري نسائي شامل
مريم بوزيد سبابو

51 الحكاية البيضاء والحكاية السوداء
في الحكاية الشعبية
فاطمة الحمدوني

69 فخار سجنان من المحلي إلى العالمي
فاطمة بلغيث معتوق

87 تقاليد الزواج في بوادي المغرب
(أنكاد وبنية يزناسن أنموذجا)
محمد الصباني

103 الدلالات الرمزية للحلي الفضية بالقبائل الكبرى
منطقة بني يني أنموذجا
أيت محند نورية

ABSTRACTS

182 RÉSUMÉS EN FRANCAIS
Traduits et rédigés par Aziz Reznara

186 ENGLISH ABSTRACTS
Edited & Translated by Zakaria Ahmed

المقالات

121 رواية: «بيت السناري» وإحياء موروثنا الثقافي
عبد المقصود محمد

131 القصص الشعبي - المصطلح والمفهوم
داود سلمان الشويلي

143 بلاغة التخيل في النص التراثي: كتاب السلوانات أنموذجا
مولاي مروان العلوي - فؤاد عاقل - لبنى الرامي

157 العجائب في ألف ليلة وليلة
عبد السلام شرماط

الترجمة

169 الخطاب الفولكلوري في الأدب الشفوي والمكتوب
للكتّاب/ماهندرا كومار ميشرا - ترجمة / عادل العامل

بلاغة التخيل في النص التراثي: كتاب السلوانات أتمودجاً

مولاي مروان العلوي

فؤاد عاقل

لبنى الرامي*

The Eloquence of the Imagination in the Traditional Text:
"The Book of Consolations" as a Model

Mawlay Marwan El Alawi

Fouad Aqil

Lubna Al Rami

University of Shoaib Dakkali - Morocco

Abstract:

In this article, we aim to approach the traditional text through the inferential approach based on the analysis of texts on a pairing between two levels; logical level and pragmatic level, Which is contained in the text, to reach its significance invoking the pragmatic characteristics.

ملخص:

نهدف في هذا المقال إلى مقارنة نص تراثي هو «سلوان المطاع في عدوان الأتباع» لـ «حجة الدين أبو عبد الله بن ظفر الصقلي» بالاعتماد على المنهج الاستدلالي الذي يقوم على تحليل النصوص، بناءً على المزاوجة بين مستويين: المستوى المنطقي والمستوى التداولي، وذلك انطلاقاً من الخطابات المسرودة والمعرضة التي يحتوي عليها النص، للوصول إلى كنهه، باستحضار الخصائص التداولية.

*باحثون - جامعة شعيب الدكالي - المغرب.

علي جمعة، أن «التراث مكتوب بشفرة لابد من حلها لكي نفهم هذا التراث»؛ وذلك بإدراك التصور الكلي الذي كان سائغاً عند الكاتبين للتراث عبر الزمان والمكان⁽⁴⁾ وكذلك قضية الصياغة اللغوية والمنطقية، التي تحتم علينا إدراك فلسفة اللغة وعلاقتها بما في الأذهان وبما في الأعيان، وقضية المصطلحات؛ فلكل عصر ولكل مذهب ولكل علم مصطلحاته التي إذا ما فقدتها القارئ المعاصر أو طالب العلم أو الباحث فإنه لا يدرك كثيراً مما أمامه من كتابات القوم». يمتاز النص الذي سندرسه بالثراء، وبالمنهج والدقة. ويحدد المؤلف إسناداته المرجعية فيقول:

- 1 - وصدرتها بأي من التنزيل المحكم.
 - 2 - وأحاديث عن المصطفى (ﷺ).
 - 3 - إلى ما تلا ذلك من منثور الحكم وموزونها.
 - 4 - وأبكار الآداب وعيونها.
- إن هذا الكتاب كُتب أساساً بهدف «تسليّة» الموجّه له كما أسلفنا، والموجه له هنا هو «المطاع» أي الحاكم أو الملك،

إلى ما تلا ذلك من منثور الحكم وموزونها وأبكار الآداب وعونها، فبرزت روضة للقلوب والأسماع ورياضة للعقول والطباع⁽²⁾. وإذا ما فحصنا مقدمة المحقق أيمن عبد الجابر البحيري، بوصفها موازياً نصياً، نلفيه يصف الكتاب بالتراث، وأنه يتضمن الحكم والقصص، وأنه كُتب أساساً بهدف تسليّة الموجّه له المتجلي في المطاع.

أما في ما يخص طبيعة المادة النصية، فنجد الكتاب يتضمن آيات من الذكر الحكيم وأحاديث نبوية وقصصاً من سيرة الخلفاء، بالإضافة إلى منثور من الحكم، تتراوح بين الشعر والنثر، كما تحتوي على أحداث تاريخية، يراوح فيها المؤلف بين التخيلي والواقعي، والحكايات العجائبية والأمثال.

انطلاقاً مما رصدناه، نجد أن هذا الكتاب يشتمل على خصائص مشتركة بين أجناس سردية مختلفة، إلا أننا نرجح فرضية كون هذا الكتاب يتأرجح بين الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية. وسننطلق في هذا المقال من قوله لمحقق الكتاب «أيمن عبد الجابر البحيري»⁽³⁾، نقلاً عن

تأليف «حجة الدين أبو عبد الله بن ظفر الصقلي». فمن المعلوم أن لطبيعة المجتمع دوراً أساسياً في صياغة أجناس الخطاب التي تحظى بالرواج داخله، حيث تأخذ أجناس الخطاب مكانتها من المادة اللسانية، ومن الأيديولوجيا المحددة لها تاريخياً من طرف المجتمع⁽¹⁾.

يعد كتاب السلوانات نصاً تراثياً يتسم متنه بمجموعة من الخصوصيات، تفرض علينا الحذر في التعامل معه، فهو نص قديم تتداخل فيه الحكم والأخبار والأمثال والحكايات العجائبية والحكايات التاريخية، وهو تتداخل يجعل السلوانات تمتاز بمادة حكاية غنية، شأنها شأن النصوص التراثية القديمة من مثل: «ألف ليلة ويلة»، «كليلة ودمنة»، «المقامات»... ما يجعل من تجنيسها أمراً في غاية التعقيد والصعوبة.

لذلك، سنحاول أن نجد موقعاً مناسباً لكتاب السلوانات من أجل تسهيل التعامل مع المادة النصية التي يقدمها المؤلف للقارئ/المتلقي، وذلك من خلال تجنيسه، اعتماداً على كتاب «التخيل وبناء الأنساق الدلالية، ما يستدعي ما يأتي:

- استحضار الميثاق التجنيسي للمؤلف.
 - الموازيات النصية السابقة أو اللاحقة التي تحاول تجنيسه.
 - تحديد طبيعة المادة النصية التي يقدمها العمل، وقياسها بنصوص مشابهة، سواء كانت قديمة أو حديثة.
- إذا ما نظرنا في مقدمة المؤلف نجد أنه ربط كتاب السلوانات بمؤلفاته السابقة، ككتاب «أساليب الغاية في إحكام آية»، وكتاب «المسن لاستشفاف المعونة والإشراف» وكتاب «درر الغرر» وكتاب «أنباء نجباء الأبناء»، ليوضح طبيعة مادة هذه الكتب وموضوعها، ممهداً بذلك للحديث عن موضوع كتاب «سلوان المطاع في عدوان الاتباع» والمنهج الذي اتبعه فيه: «وهو كتاب عمدت فيه إلى أمثلة؛ استأثر خواص الملوك ببضاعتها... فتوسعت بالتعبير بألفاظي عنها، والتعبير بعلمي لها.. نفتت فيها أرواح الأخلاق الزكية.. وصدرتها بي من التنزيل المحكم، وأحاديث عن المصطفى (ﷺ)،

تمهيد

إن دراسة تراثنا الأدبي بمنهج حديث لم تحقق بعد ذلك التراكم المنشود؛ ففي بحثنا عن الدراسات والأبحاث التي أنجزت عن الكتب التراثية لم نجد إلا النزر القليل من المقاربات التي تتجاوز الوقوف التقليدي والقراءات المألوفة. ولا يخفى على أحد أن دراسة تراثنا الفكري والحضاري مسألة مهمة؛ لأنها تسهم في التعرف على هويتنا الثقافية والحضارية من جهة، ومن جهة أخرى المحافظة على هذا الإرث، بوصفه جزءاً لا يتجزأ من تراث الإنسانية جمعاء.

لذلك ارتأينا في بحثنا هذا أن نجعل موضوع اهتمامنا ينصب على نص تراثي قديم، بمنهج حديث (المنهج الاستدلالي)، وهو كتاب «السلوانات: سلوان المطاع في عدوان الاتباع»

رائقة ورياضة فائقة؛ الأولى وهي الحكاية الكبرى، أما الثانية فهي «روضة رائقة ورياضة فائقة» ليختم السلوانة بقصة تلخص ما سبق، وتمهد للسلوانة الموالية المتمثلة في «سلوانة الرضا».

المكون	امتداده الخطابي بالصفحات
تصدير:	من 75 إلى 76
• آي من الذكر الحكيم	من 76 إلى 77
• خبر نبوي في الصبر	من 77 إلى 78
• منثور ومنظوم من الحكم في الصبر	من 78 إلى 80
• قول محمد عفا الله عنه	
روضة رائقة ورياضة فائقة 1	من 80 إلى 98
روضة رائقة ورياضة فائقة 2	من 98 إلى 99
خاتمة	99

وسنقدم بإيجاز أهم الأحداث والوقائع التي حوتها «روضة رائقة ورياضة فائقة»، مبرزين المفارقات الزمنية التي تخللت أحداثها، ومحترمين في ذلك تسلسل القصص في السلوانة.

ترسم السلوانة لنفسها خطأ سردياً يضمن للأحداث تعالقتها، ويبدو ذلك من خلال كون الزمن غير مرتب كرونولوجياً. بتركيزنا على حكاية «روضة رائقة ورياضة فائقة» سنلج مباشرة إلى البنية السردية الكبرى.

يتأطر زمن الخطاب في زمن المجلس، أي الزمن الراهن الذي سرد فيه المؤلف السلوانات مباشرة أمام أسماع الملك، وذلك استناداً إلى الطابع الشفوي الذي كان يحكم المجالس آنذاك، فقد استعمل السارد ذاكرته، لينفتح السرد بذلك على عوالم واقعية وتخيلية وعجائبية.

ابتدأ السارد بسرد قصة كسرى أنوشروان الذي يعدّ مؤشراً زمنياً على الحقبة التي عاش فيها والمتمثلة في القرن السادس الميلادي، حيث وصفت له أرض في الحدود الهندية بجانب إقليم بابل بحسن المنظر وكثرة العمائر وبلادة سكانها وصبرهم على العمارة، فشرهت نفسه إلى

1 - المستوى المنطقي:

تتضمن سلوانة الصبر مجموعة من الأحداث المضمنة في قصص مترابطة، يجمعها خيط ناظم يتمثل في موضوع الصبر، وقد اشتغلت ذاكرة السارد في سردها، بوصفها ملكة فاعلة وأداة حيوية لاسترجاع أحداث ماضية انتهت في الزمن وأعيد إنتاجها بواسطة السرد.

صدّرت السلوانة بتعريف للصبر: «وهو ثمرة التأسي»⁽⁵⁾، رابطاً مؤلفها إياها بالسلوانة السابقة الموسومة بـ«سلوانة التأسي»، مستشهداً بأي من القرآن الكريم، أعقبها بقصة عن الرسول (ﷺ)، ثم روى خبراً عن المصطفى (ﷺ) في الصبر، وعزز تصديره بمنثور ومنظوم من الحكم في الصبر، ليكشف السارد عن نفسه في نهاية التصدير، مشيراً إلى أن ما سبق قوله هو جملة القول في الصبر، وذلك بهدف تخصيص موضوع السلوانة في «صبر الملوك»⁽⁶⁾. لينقل خيط السرد في القصة الأولى إلى الفرس، وفي القصة الثانية إلى سارد مجهول، هاتان القصتان تتحدثان عن صبر الملوك، ممهداً بذلك للبنية السردية الكبرى المتمثلة في «روضة

فالكاتب يستهدف تسليّة الملك وهو ملك معين محدد، يتمثل في «أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم علي بن علوي القرشي»، يتعرض هذا الملك لـ«عدوان الأتباع» ويعيش في محيط الفتن والمؤامرات، وهو بحاجة لنوع من الرياضة الروحية لتسليّة متاعبه. والسلوان جمع سلوانة، وهي خرزة تزعم العرب أن الماء المصبوب عليها إذا شربه المحب سلا (أي نسي). وهن في هذا الكتاب خمس سلوانات:

السلوانة الأولى: في التفويض
السلوانة الثانية: في التأسي
السلوانة الثالثة: في الصبر
السلوانة الرابعة: في الرضا
السلوانة الخامسة: في الزهد

سنأخذ من سلوانة الصبر نموذجاً لمقاربتها مقارنة استدلالية، من خلال التطرق إلى مستويين: مستوى منطقي وآخر تداولي، إذ نمر من المستوى الأول إلى المستوى الثاني، عبر فرضيات للقراءة وفحص لعبات النص.

تملك تلك الأرض التي يحكمها ملك عظيم من أراكنة الهند، وهو ملك عادل يحسن معاملة رعيته. جاءت بداية السرد على شكل مسرود مباشر: «قيل: وصف لكسرى أنوشروان أرض من التخوم الهندية تتاخم إقليم بابل فذكرت له بحسن المنظر.....»⁽⁷⁾، ليختم المقطع السردى بمسرود نفسي يصف فيه طمع كسرى في بلاد الهند: «فشرهت نفس كسرى إلى تملك تلك الأرض.....». عندها أرسل كسرى إلى ملك الهند رسولاً ذا دهاء وفطنة ومكر، ليجت عن ثغور هذه الأرض ومعاقلها، مرسلاً معه كتاباً يدعو فيه أركان الهند إلى الدخول في طاعته، وبذلك يفتح الخط الزمني للسرد والمتوقع في القرن 6م:

وتلا السارد ذلك بمسردود تقرير، في شكل حكم يعزز بهما وصف الحالة النفسية لكسرى: «كان يقال: الشره أعرق الخصائل....»، «وكان يقال: من شره وقع فيما كره»⁽⁸⁾، «وكان يقال: الشره شدة، ينتجها طبع ويهيجها طمع». يعود السارد إلى الخطاب المسردود المباشر، فبعد أن استقبل أركان الهند الرسول توجس منه، فأرسل إليه جاسوساً يراقبه ويستميل غلامه، ليوسع السارد بذلك دائرة الشخصيات. لبث الرسول مدة من الزمن غير محددة، فالمؤشرات الزمنية المضمنة في القصة لا تدل صراحة على الامتداد الزمني للأحداث:

-فلبث بذلك مدة لا يسأله عن شيء من أمر سيده....⁽⁹⁾ (خطاب مسردود مباشر)
-ثم أمسك عن الغلام أياماً لا يسأله شيئاً.....⁽¹⁰⁾ (مسردود مباشر)
-إنه صحبني أكثر من شهر.....⁽¹¹⁾ (خطاب معروض)

ناوب السارد بين الخطابين؛ المسردود والمعرض، إذ يبيث المؤشر الزمني الثالث (أكثر من شهر) على لسان الغلام في مشهد حوار، بينه وبين سيده، عندما كانا يتكلمان عن الجاسوس. لما تأكد الجاسوس من بله وبلادة وغبابة رسول كسرى، أرسل الأركان في طلبه، ليلبث بذلك الرسول عامًا عنده، وهو مؤشر زمني حدد المدة التي بقي فيه رسول كسرى في الهند. ثم عاد الرسول إلى كسرى ناقلاً أخبار الهند، ليوظف السارد تقنية الخطاب المنقول: «فأخبره بطيب تلك الأرض وفضائل خصائصها....سيوف منتضاة»⁽¹²⁾. أرسل كسرى ناصبي الدعوات وقالبى الدول إلى بلاد الهند؛ لإشعال الفتن في الرعية، حتى لبثوا في ذلك عامين، وهو مؤشر زمني ضمني في خطاب مسردود مباشر، وظف فيه السارد تقنية الحذف ليحذف الأحداث التي جرت في تلك الفترة من الزمن.

فتح هذا الحدث باب السرد لولوج شخصيات جديدة، تتمثل في وزراء الأركان الأربع ورئيس الزمازمة التي كان يستشيرها ملك الهند. وقد كثف السارد في هذا المقطع السردى توظيف المشهد الحوارى الذي يصور الحوار بين الملك ووزرائه، مسلماً السرد بذلك إلى الشخصيات: (وقد قيل) و(قد قالت الحكماء) و(قالوا) على لسان (رئيس الزمازمة) الذي وظف تقنية التمثيل والحكمة، إضافة إلى الوزير الرابع الذي بمجرد تسلمه خيط السرد، لجأ إلى توظيف تقنية التمثيل: «إنما نحن كأصبع الراحة....»⁽¹³⁾، ثم بدأ في سرد قصة عجائبية على لسان الحيوان، مثل فيها الجرذ والفأرة واليربوع شخصياتها، موظفاً ذاكرته، وهي ذاكرة انتقائية انتقت هذه القصة بالتحديد، لمقصدية خاصة سنعود إليها خلال التحليل. ويتجلى مضمونها في

لم يجرؤ المرزبان على الدخول إلى معقل الأركان، وبعدهما أمره كسرى بعدم التعرض له لبث في المدينة مدة، وهي مؤشر زمني غير محدد، لجأ إليه السارد ليلخص الأحداث التي وقعت في أثناء إقامة المرزبان في المدينة، موظفاً الخطاب المسردود المباشر. وخلال تنامي السرد، وظف السارد الفعل «اتَّفَق» كفعل موجه للسرد للدلالة على صدقية ما يرويها، وذلك لإدخال شخصية جديدة، تتمثل في «عامل للمرزبان» على ثغر من الثغور، أدى قتله للناصح إلى تمرد أهل ذلك الثغر، لتنتقل بعد ذلك عدوى الانتفاضة إلى مواضع كثيرة في المملكة. توجه رئيس الزمازمة إلى المرزبان لكي ينصحه، في

هلاك عائلة الجرذ الذي لم يتبع نصيحة اليربوع. تعود الشخصيات لتتسلم السرد في خطاب معروض مباشر، عبرت فيها شخصية الملك عن اقتناعها بما جاء على لسان الوزير الرابع، وهذه النصيحة تمثل موجهاً سردياً يوجه توالد الأحداث الموالية، وكانت هذه القصة من أجل عبرة مقصودة، إذ كان لهذه التداعيات السردية دور مهم في توسيع دائرة السرد وامتداداته، فقد امتثل الملك لنصيحة وزيره وصعد إلى الربوة، ليوظف السارد، في وصف مكان انتقال الملك، المسردود المباشر الذي يتضمن مؤشراً زمنياً يتمثل في (ثلاثة أشهر)، حيث يقول: «فلما مضت ثلاثة أشهر من يوم كتب إليه جواسيسه بحركة المرزبان وحشده....»⁽¹⁴⁾، ليصبح بذلك الامتداد الزمني للقصة على الشكل الآتي:

صيغة خطاب معروض مباشر بين الشخصيتين، يعرض فيها السارد ما دار بينهما من حوار. ثم سرد السارد ما حلَّ برئيس الزمازمة نتيجة لعدم قبول نصيحته من قبل المرزبان، في خطاب مسردود مباشر، ما زاد نار الفتنة انتقاداً. ورغم محاولات المرزبان إطفاء نار الفتنة، واستعادة سلطته على المدينة، فإن محاولاته باءت بالفشل، فعاد إلى كسرى مفلولاً وعاد الأركان إلى دار ملكه. ويتسبب غياب المؤشر الزمني الدال على المدة التي قضاها المرزبان في المدينة والفترة التي حكم فيها وطرد منها، في عدم إمكانية تحديد الامتداد الزمني لأحداث القصة بدقة، لكن حسب التمثيلات الزمنية أعلاه، يمكن تأويلها بأكثر من خمس سنوات.

تركيب:

أدت مزاجية السارد بين الخطابين؛ المسرود والمعرض إلى تفاعل بين السارد والشخصيات، وإشراك هذه الأخيرة في فعل السرد، ما أدى إلى تكسير رتابة السرد بضمير الغائب. كما لعبت ذاكرة السارد الحافظة دورًا مهمًا في تنامي الأحداث في القصة وانتقاء ما يناسب قصده. لذا نلاحظ تكتيفًا زمنيًا لأحداث القصة، فقد استرجعت ذاكرة السارد الأحداث وراكمتها إلى جانب بعضها البعض، من أجل تحقيق المقصدية التي رسمها المؤلف، فساهمت إلى حد كبير في تأنيث الفضاءات السردية، سواء من خلال ذاكرة السارد أو من خلال ذاكرة الشخصيات.

كما أن إدراج السارد لمؤشرات زمنية تتراوح بين التحديد والغموض، مكن من موقعة زمن القصة في القرن السادس

الميلادي الذي عاش فيه الملك كسرى أنوشروان، لكنه لم يمكن من تحديد الامتداد الزمني لأحداث القصة بدقة. إلى جانب توظيف السارد لتقنية الحذف، الذي أسهم في إشراك المتلقي في عملية تكوين الأحداث من خلال استفزاز ذاكرته، وتوظيفه لتقنية الحوار، ما جعل المشهد حاضرًا أمام أعين المتلقي.

2 - المستوى التداولي

وللمرور على المستوى التداولي، ينبغي طرح فرضيات للقراءة التي على أساسها نستطيع فحص عتبات النص ونصوصه الموازية والسياق الذي يجعلنا نمر من الصريح في النص إلى الضمني فيه، أي من الدلالة الحرفية إلى

الدلالة الخفية. وأول عتبة يجب التطرق إليها، هي عنوان الكتاب المتمثل في «السلوانات، سلوان المطاع في عدوان الأتباع». والسلوانات في لسان العرب من سلا سلاه وسلاه عنه وسليته سلوا وسلوا وسليًا وسليًا وسلوانًا نسياه وأسلاه عنه وسلاه فتسلى والسلوان خَرَزَةٌ تُسَحَّقُ ويُشْرَبُ مأوها فيورث شاربَه سلوةً، والسلوانة بالضم كلاهما خَرَزَةٌ شَقَافَةٌ إذا دَفَنْتَها في الرمل ثم بَحَثْتَ عنها رَأَيْتَها سوداء يُسَقَّاهَا الإنسانُ فَتُسَلِّيه، وقال أبو عمرو السَّعْدِيُّ السُّلْوانَةُ خَرَزَةٌ تُسَحَّقُ ويُشْرَبُ مأوها فيَسْلُو شاربُ ذلك الماء عن حُبٍّ من ابْتِلَى بحبِّه. تبعًا لهذا التعريف، ترتبط السلوانة معجميًا بالانتقال من حالة الكرب إلى حالة التسلية، وهو ما يتساقق ومقصدية المؤلف والسياق الذي أنتج فيه الكتاب. جاءت لفظة السلوانات معرفة، دلالة على التخصيص والتحديد، وجمعًا دلالة على تعددها، وفي جملة «سلوان المطاع في عدوان الأتباع» إحالة على المرسل إليه المتمثل في الحاكم أو

الملك، وإشارة إلى سياق تأليف الكتاب وموضوعه. أما العتبة الثانية فتتجلى في مقدمة المؤلف التي يعرف فيها كتابه وموضوعه ومنهجه وإسناداته المرجعية والغاية من تأليفه، ويشير إلى الغرض الرئيس المتمثل في تسلية ملك محدد ومعين.

أما العتبة الثالثة فتتمثل في العنوان الفرعي «سلوانة الصبر»، والصبر في لسان العرب «في أسماء الله تعالى الصَّبُورُ تعالى وتقدَّس هو الذي لا يُعَاجِلُ العُصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة ومعناه قَرِيبٌ من مَعْنَى الحَلِيم، والفرق بينهما أن المَذْنِبَ لا يَأْمَنُ العُقوبة في صِفَةِ الصَّبُور كما يَأْمَنُها في صِفَةِ الحَلِيم وصَبْرُهُ عن الشيء يَصْبِرُهُ صَبْرًا حَبَسَهُ». فسلوانة الصبر تفيد تسلية موجهة ومقومة لسلوك الملك في إدارة شؤون الرعية، فإذا كان الصبر هو حبس النفس، فإن ذلك يستدعي من الملك حبس نفسه عن الانفعال أمام عدوان الأتباع والثبات عند الشدائد.

هذه العتبات تثير مجموعة من التساؤلات، تتجلى في:

- عماذا سيتحدث الكتاب؟
- ما مقصديته؟
- وماعلاقة سلوانة الصبر بالسلوانات الأخرى؟
- وما مغزى هذا الترتيب؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، ينبغي استحضار مكونات الخطاب المتمثلة في المرسل والمرسل إليه وسياق إرساله.

المرسل هو عبد الله بن محمد بن الظفر الصقلي، المنعوت بحجة الدين، وهو أحد المنتمين لحقل العلم والأدب في التراث العربي الإسلامي.. ولد بصقلية عام (497 هـ)، وكان رحالة يهوى السفر وطلب العلم، انتقل من مكة التي نشأ بها إلى مصر في صباه، ثم إلى المهديّة بشمال إفريقيا، ثم إلى حلب مارًا بمصر مرةً أخرى، ثم توجه إلى حماة واستقر فيها، وعمل بالديوان، وكان راتبه دون الكفاف، ولم يزل يكابد الفقر إلى أن توفاه الله سنة 568هـ.

كان ابن ظفر عالمًا أدبيًا شاعرًا، متعمقًا في علوم الدين واللغة والنحو، وقد أطلق عليه لقب (حجة الدين) لتصانيفه العميقة في العلوم الدينية.

أما المتلقي فهو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم علي بن علوي القرشي، أحد الملوك والقادة في الشام في عصر حجة الدين. وتجدر الإشارة إلى أن العصر الذي عاش فيه ابن ظفر وهو القرن السادس الهجري، كان عصر الانقسامات والنزاعات السياسية في مصر والشام بين شيعة وسنة، وبين عرب وترك، فأضعفت هذه النزاعات والانقسامات المسلمين وأدت إلى استيلاء الصليبيين على معاقلهم في أنطاكية وبيت المقدس. ولا شك أن ذلك كله كان له أثره على المظفر في هذا الكتاب، فمقصديته كانت تجديد الوعي بإمكانية استمرار الدولة وتنظيمها وبناءها على الإيمان وإحداث تغيير اجتماعي أخلاقي في إطار المسؤولية السياسية والأخلاقية للفرد والجماعة والحاكم والمحكوم. إذ إنه عوض أن يتوجه بالنصح مباشرة إلى الحاكم غُلف هذا النصح بطابع إمتاعي، فزواج بين الإمتاع والنصيحة.

إن موقعته لسلوانة الصبر في وسط الكتاب تدل على أهميتها، فقد ربطها بالسلوانة السابقة، إذ عدها «ثمرة التأسّي»، وجعل خاتمتها تمهيدًا لسلوانة الرضا، إذ قال: «الإسراع بالصبر والرضا عن القضاء».

في التفويض	في التأسّي	في الصبر	في الرضا	في الزهد
------------	------------	----------	----------	----------

ينم ترتيب السلوانات عن ترتيب منطقي لها، فتفويض الأمر لله والتأسّي بأحوال الغير، ثمرته الصبر الذي يمنح الإنسان الرضا عن حاله، ليسمو إلى مرحلة الزهد. فإذا كان غرض المؤلف تسلية الملك من خلال بناء سردي متنوع ومكثف، فإنه يستبطن مقصدية معينة أراد المؤلف إبلاغها للمطاع في شكل سردي ممتع، وهي توجيهات للملك تسهم في مساعدته على حسن تدبير أمور رعيته ووجوب المشورة، وبخاصة أن السياق التاريخي المضطرب يحتم عليه ذلك.

إن تسلسل السلوانات يجعل القارئ يلمس في حكاياته الخوف على الأمة، وكذا الأمل في أن تتبدل أحوال تلك بأحسن منها. ففي حكاياته كلها، وحتى في قمة تجسدها يتجسد الأمل عنده بمنقذ يظهر في الوقت المناسب، ليقود شخصيات الحكاية الرئيسية إلى بر الأمان، من خلال نصح يسديه.

ويتبع السارد منهجية ثابتة في سلواناته، إذ يلجأ السارد إلى توظيف آيات من الذكر الحكيم جاعلاً إياها منطلقاً لعملية السرد، لما لها من قوة إقناعية تجعل المتلقي يذعن لها، فسلوانة الصبر صدّرها بالآية 127 من سورة النحل «واصبر وما صبرك إلا باللّه لا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون». وبقوله تعالى في الآية الثلاثين من سورة الأنفال: «وإن يكرهك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك»، هذه الآيات تمهد لموضوع السلوانة المتجلي في «الصبر»، ويعطي بذلك مثلاً قوياً للملك، وهو صبر الرسول شارحاً مضامين الآيات في صورة قصصية؛ سيرية نبوية، لتحقيق التزام تواصل بين المرسل «حجة الدين» والمرسل إليه «الملك». وقد اعتمد المؤلف في ذلك على المرجعية الثقافية المشتركة بينهما، ليخلق جسراً تواصلياً معرفياً لتمرير معرفة للمتلقي، بهدف استمالته والتأثير فيه. ولا يكتفي المؤلف/السارد بالقرآن فقط، بل يدعمه بخبر نبوي في الصبر مستحضراً حديثاً للنبي (ﷺ): «العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والرفق والده، والبر أخوه، والصبر أمير جنوده». لينتقل بعد ذلك من السرد الديني إلى سرد المنثور

والمنظوم من الحكم في الصبر، مستدعيًا قولاً لعلي رضي الله عنه وأشعاراً لمجموعة من الشعراء في الصبر. ويختم ذلك بظهور السارد الذي يتحكم في السرد، إذ يقول: «قال محمد عفا الله عنه»، ليقدم تلخيصاً لما سبق: «هذا أنموذج من القول في الصبر على الجملة»، ويحدد موضوع السلوانة وهو «صبر الملوك»، ثم يحكي قصتين قصيرتين عن هذا الصبر، فقد وردت القصة الأولى على لسان الفرس، أما الثانية فقد وردت على لسان سارد غير محدد، لتحكي قصة ثبات موسى الهادي أمام الخارجي. والجامع بين القصتين هو ثبات الملوك أمام الأخطار، عبر عنه السارد بمسرود تقرير ي بعد القصة

الأولى: «فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك» ص 79، و«قد جلا عليك هذا الخبر ما أيد الله به موسى الهادي من ثبات الجأش وإصابة الرأي». وتتمثل مقصدية المؤلف الخاصة أولاً في التمهيد لسرد الحكاية الرئيسية، ثم إعطائه نموذجاً أولياً لثبات الملوك، وتحفيزه للقيام بعملية استدلالية ليصل الملك من خلالها إلى ما هو ضمني في القصتين، ليضيف بعد ذلك في القصة المولية مكوناً جديداً يتمثل في مكون النص والإرشاد. يزخر الكتاب بالشخصيات المرجعية على حد تعبير فيليب هامون، كشخصية «موسى الهادي» وشخصية «كسرى أنوشروان» وشخصية «أركان الهند» وشخصية «يزدجرد» في سلوانة الصبر، وقد فرغت من دلالتها التاريخية، لتُشحن من خلال خطاب المؤلف/ السارد بدلالات جديدة توجهها في اتجاه معين لصالح الدلالات القصصية التي يؤسسها المؤلف، مستثمراً في ذلك ذاكرته الخارجية، إذ عمد إلى اختيار سياق تاريخي للقصص، مشابه للسياق التاريخي الذي يعيش فيه المتلقي المباشر، المتمثل في الملك، بغية تمرير ضمني للتوجيهات والنصائح بشكل يستفز المتلقي ويجعله ينخرط في عملية استدلالية يماثل فيها وضعيته بوضعية شخوص القصص، فاعتماده على مبدأ التحويل يخلق مسافة إبداعية تربط المرجعي بالتخييلي، إذ يعتمد التخيلي إلى تمكين

المؤلف من تجنب غضب الملك، ويرمي المرجعي إلى إقناع الملك، من خلال الإيهام بواقعية الأحداث، مستحضراً أسماء أعلام تاريخية، حتى يزيد من وثوقية الخبر، وبالتالي يضفي شرعية على أقواله. فالسارد يوهم القارئ المتلقي بأنه يقف موقفاً حيادياً من هذه الأحداث، ويظهر ذلك من خلال التفاعلات الخطابية وتناوب المسرود والمعرض وعرضه للحكم والأمثال على لسان غائب، إذ يقول: «ويقال» و«قيل». وقد ربط بين أجزاء القصة من خلال ذاكرة النص الداخلية، فنجد على سبيل المثال في قصة الفرس التي سبقت الحكاية الرئيسية ذكراً لحدث الفيل في الصفحة 79 «والفيل إذا اغتلم أنكر سواسه ولم يثبت له شيء إلا أتى عليه» التي سيستثمرها في ما بعد في الصفحة 87 ليقول «والفيل في حال غلمته»، كما ربط بين القصة الجرد واليربوع، حيث قال في الصفحة 90: «قال لهما اليربوع»: لولا أن النصح كثيراً ما يدعو إلى التهمة لنصحت لكما. فقالا ما أحوجنا إلى نصحك». واستشهد بحكم: «وكان يقال: انظر إلى المنتصح فإن أذاك بما يضر غيرك ولا ينفعك فاعلم أنه شرير...»، «إذا لم تعن ناصحك على نفسك، كان ناصحك كمن يريد تقويم ظل عود قد نصب معوجاً...»، ثم عاد فذكر السارد على لسان الملك في الصفحة 92: «صدقت أيها الوزير الصالح قائلاً، وسددت ناصحاً، وأصبحت مشيراً». ولهذا الربط مقصدية خاصة تتمثل في كون المؤلف من خاصة الملك وقد عمل في الديوان، يتقاطع مع شخوص الناصحين في القصص، وما يعزز ذلك قوله: «وكان يقال إذا احتجت إلى المشورة فشاوَر ذي الحنكة والمشورة من طبقتك ولا تشاوَر من ليس من طبقتك فيخرجك عن حدك لكونه خارجاً عن عالم خصائصك» ص 90، فكون المؤلف من خاصة الملك يستوجب قبول الملك مشورته، مثلما قبل الأركان مشورة وزيره الرابع ونجا، ورئيس الزمازمة فنجا ملكه بذلك من الهلاك، في مقابل المرزبان الذي لم ينصت لنصيحة رئيس الزمازمة والعامل الذي لم ينصت لنصيحة

الرجل الذي كان أفضل أهل عمالته، فكان مصيرهما انهيار سلطتهما، شأنهما في ذلك شأن الجرذ الذي لم يمثل لنصيحة اليربوع فإن هار بيته ومعه عائلته، والبيت هنا رمز للملكة والعائلة رمز للرعية، وعبر عن ندمه بقوله في الصفحة 91: «ما أشقاني أيها الحكيم بمعصيتك والبعد عنك وبحق قيل: العاقل ينبغي أن يصحب العلماء الممدنين بالحكمة والآداب...». كما أن السارد وظف تقنية الاستشراق الداخلي، عندما قال في الصفحة 80: «كما يقال: من شره وقع في ما كره»، ليستشرف مآل كل من كسرى الذي خسر معركته، والمرزبان الذي ضيّع حكمه والجرذ الذي انهار بيته وخسر عائلته».

إذا اختلفت مقاصد المؤلف بين مقصدية صريحة أعلن عنها، تتمثل في إمتاع المطاع ومقصدية خفية تتجلى في تمرير خطابات تروم توجيهه إلى الطريقة المثلى في تسيير البلاد، وهو في ذلك يروم إعادة التوازن في نظام الحكم، أي أنه يسعى لتحقيق مصلحة عامة، فإن الأمر لا يخلو من مصلحة خفية يتوخاها المؤلف، ففي تحديد شخصية المنقذ في «الشخص الناصح» إشارة خفية تنبه الملك إلى ضرورة الالتفات إلى شخص المؤلف ووضعه في المكانة التي تليق به، ولا سيما أنه قد سبقت الإشارة في ترجمة المؤلف «وكان راتبه دون الكفاف».

الهوامش:

- (1) Tzvetan Todorov, les genres du discours, Seuil, 1978 p18.
- (2) حجة الدين أبو عبد الله بن ظفر الصقلي، السلوانات: سلوان المطاع في عدوان الأتباع، تقديم وتحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى 2001، ص 17.
- (3) نفسه، ص 5.
- (4) نفسه، ص 6.
- (5) نفسه، ص 75.
- (6) نفسه، ص 78.
- (7) نفسه، ص 80.
- (8) نفسه، ص 80.
- (9) نفسه، ص 81.
- (10) نفسه، ص 82.
- (11) نفسه، ص 83.
- (12) نفسه، ص 85.
- (13) نفسه، ص 88.
- (14) نفسه، ص 93.